بداية موفقة

لو شبهنا الحياة بلعبة الكريكيت، لكان التوفيق عاملا بالغ الأهمية في نجاح الحياة المهنية

شيخار آيار ورودني رامتشاران
Shekhar Aiyar and Rodney Ramcharan

هل العثور على الوظيفة الأولى الجيدة هو مسألة حظ أم يعتمد على المقدرة؟ وهل تتساوى الفرص بين شخص تخرج من الجامعة أو غيرها من مؤسسات التعليم أثناء فترة الازدهار وآخر يتخرج إبان الركود؟ وكم سيدوم تأثير الوظيفة الأولى الجيدة على حياة المرء المهنية؟ تلك أسئلة محورية بالنسبة للمفاهيم المجتمعية عن فكرة الإنصاف. فعلى سبيل المثال، لو كانت ثروة بيل غيتس إمبراطور صناعة البرمجيات مسألة حظ فحسب، فلن يحدث ضرر كبير من إعادة توزيعها على من هم أقل حظا. لكن لو كانت الحياة المهنية الناجحة تعكس فقط العمل الجاد والقدرة، لكان ارتفاع مستويات الضرائب أمرا يخلو من الإنصاف والكفاءة على حد سواء.

وقد توصلت الدراسات السابقة الخاصة بالعمل إلى أن الحصول على وظيفة أولى جيدة من شأنه أن يجلب كثيرا من المنافع طويلة الأجل في الحياة المهنية، مثل الأجر الأكبر والمنزلة الأعلى طوال العمر. أما لو أسندت الوظائف الأولى للناس عشوائيا، لكان هذا يعني ضمنا أن للحظ دورا كبيرا في تحديد المحصلات طويلة الأجل للحياة المهنية. لكن الوظائف لا تسند للناس بصورة عشوائية. والأرجح أن يحصل من يتوقع امتلاكهم القدرات العالية على الوظائف الأولى الجيدة، وبقدر ما تكون هذه التوقعات صحيحة، يرجح أيضا نجاحهم في حياتهم المهنية. ونظرا لأن القدرات الطبيعية هي من الأمور التي يصعب على الاقتصاديين ملاحظتها، فإنه الصعب أيضا تحديد دور الحظ في أسواق العمل.

والرياضة بوجه عام، ولا سيما اختبارات الكريكيت الدولية– وهي مسابقة في لعبة الكريكيت بين فريقين وطنيين تمتد على مدار خمسة أيام – توفر سياقا مثاليا، إن لم يكن مبتكرا، يمكن في إطاره دراسة الأهمية النسبية للحظ في محصلات الحياة المهنية. فالأداء في هذا المجال يمكن ملاحظته وقياسه. والمجازفة كبيرة، فالفرص المتاحة في الفرق الوطنية شحيحة، والنجاح يحقق مردودا كبيرا. وإضافة إلى ذلك، في حالة اختبارات الكريكيت، لا يتوقف الأداء على القدرات فحسب، ولكنه يتوقف أيضا على مدى التأقلم مع الظروف الجغرافية والمناخية المحلية، التي تتباين تباينا واسعا وبصورة منهجية عبر البلدان التي تجري فيها مباريات الاختبار. وقد استخدمنا بيانات عن جميع لاعبي اختبارات الكريكيت في أول ظهور لهم بين عامي ١٩٥٠ و ١٩٨٥ لكي نعزل القدرات الطبيعية عن الحظ بالنسبة لمن كانوا يلعبون في أول سلسلة مباريات اختبار. وقد تحقق لنا هذا الأمر عن طريق تفحص معلومات أول ظهور للاعبين سواء كانت في موطنهم أم في الخارج – وهو ما لا يرجح أن يكون تأثره باللاعب الذي يلعب لأول مرة، ويعد مسألة حظ إلى حد كبير.

ما أحلى الوطن

من الواضح أن اللعب على أرض الوطن له وقع مفيد بشكل بارز وكبير على أداء لاعب الكريكيت في سلسلة مبارياته الاستهلالية، وأن أداءه في أول سلسلة

مباراة اختبار الكريكيت بين جنوب إفريقيا وأستراليا في مدينة كيب تاون.

مباريات له وقع كبير على عطائه خلال حياته المهنية. فبالنسبة لضاربي الكرة (بالمضرب)، يؤدي اللعب على أرض الوطن إلى رفع متوسط صدات الكرة في السلسلة الاستهلالية بنسبة هائلة تصل إلى ٣٣٪. أما بالنسبة لرماة الكرة – وهم لاعبو الدفاع الذين يرمون الكرة نحو ضاربي الكرة ، فإن اللعب على أرض الوطن يؤدي إلى خفض متوسط رميات إصابة الهدف بنحو ١٨٪ – أي أن رامي الكرة يسمح لكل ضارب للكرة يواجهه بعدد من الأهداف أقل بنسبة ١٨٪ (راجع الإطار).

لماذا يعتبر موقع سلسلة المباريات التي يستهل بها اللاعب حياته المهنية مهما إلى هذا الحد؟ والسبب ببساطة يتمثل في المزايا التي تتحقق لأي فريق يلعب على أرضه في أي رياضة، ولكن الأمر يتجاوز مجرد تأثير الجمهور المحلي. فالعوامل الجغرافية والمناخية تلعب دورا مهما. وفي لعبة الكريكيت يرسل رامي الكرة كراته من وضع ثابت ليرميها أمام ضارب الكرة في منطقة تسمى الميدان. وقد تتسبب حالة الميدان في تسهيل نوع من الرمي دون الآخر، وقد تؤثر مستويات الرطوبة السائدة في مقدار تأرجح الكرة في الهواء بعيدا عن رامي الكرة، كما أن الشمس والمطر يحددان حالة الميدان والملعب.

فميادين إنجلترا مشهورة بأنها تساعد على تأرجح الرمي، في حين تقفز الكرة عاليا في الميادين الأسترالية. أما في شبه القارة الهندية، فمن المعروف أن الرمية تفقد قوتها في المراحل المتأخرة من مباريات اختبار الكريكيت وبذا تساعد على الرمي البطيء. ونظرا لأن اللاعبين من بلد معين هم أكثر دراية بالظروف المحلية في بلدهم، فإن ميزة اللعب على أرض الفريق تصبح أقوى. وإضافة لذلك، فإن هذه الميزة تميل إلى الزيادة كلما قل تعرض الشخص لمباريات كريكيت دولية. وغالبا ما يكون المبتدئون – الذين أمضوا حياتهم المهنية حتى الآن يلعبون الكريكيت على أرضهم – غير معتادين بالمرة على الأحوال الجوية في الخارج.

الأهمية الدائمة للحظ الطيب

يعتبر أداء اللاعبين في مستهل حياتهم المهنية مؤشرا ممتازا للتنبؤ بما يحققه اللاعب في حياته المهنية. وبالنسبة لكل من ضارب الكرة ورامي الكرة، يرتبط متوسط الأداء الجيد للاعب في مطلع حياته المهنية ارتباطا قويا بمتوسط تحقيق

أداء جيد أثناء حياته المهنية، وهو ما يُحدده في حالة ضارب الكرة متوسط عدد الأهداف المحرزة في كل ضربة، ويحدد بالنسبة لرامي الكرة بمتوسط عدد الأهداف التي يتم تفاديها عن كل رامي كرة يستبعد من اللعب. ولا تنطبق هذه العلاقة على عينة كاملة من اللاعبين، بل تنطبق أيضا على كل دولة تشترك فرديا في مباريات اختبارات القوة.

ويتوقف الأداء الجيد في مطلع الحياة المهنية على كل من القدرة الذاتية والحظ. وحيث إن اهتمامنا ينصب فقط على تأثير الحظ على الحياة المهنية، فإننا نستخدم أسلوبا من مرحلتين، يسمى طريقة المتغيرات المساعدة، لاستبعاد تأثير القدرة. وندرس في المرحلة الأولى العلاقة بين متوسطات اللاعبين عند انطلاقتهم الأولى وموقع حدوث هذه الانطلاقة. ونظرا لأن موقع الانطلاقة الأولى يعتمد على الحظ، فإن الجزء الذي يفسره موقع الانطلاقة الأولى من الأداء يستخدم بعدئذ في المرحلة الثانية كمتغير تفسيري للمتوسطات المحققة أثناء الحياة المهنية. فلو لم يستمر الحظ مواتيا، لوجب علينا أن نخلص إلى أن متوسط الانطلاقة الأولى لا يرتبط بالمتوسط أثناء الحياة المهنية. والواقع أننا توصلنا إلى أن أهمية العلاقة تستمر بصورة قوية، على الرغم من أن حجم العلاقة يتناقص كما هو متوقع. والخلاصة هي أن الحظ – في شكل الظروف المواتية في الداخل – ليس هو وحده الذي يؤثر في أداء الانطلاقة الأولى، وأن هذا التأثير يختفي مع تقدم اللاعب في حياته المهنية الدولية.

والمهم أن استراتيجية الاقتصاد القياسي التي اتبعناها تعتمد على أن موقع الانطلاقة الأولى للاعبي الكريكيت في مباريات الاختبار يعتبر *عاملا خارجيا*، أي أنه لا يرتبط بقدرتهم الذاتية. وغالبا ما لا يكون هذا هو الحال في سوق العمل الأوسع – والظاهر أن الظروف الخارجية الأولية للبداية يمكن ربطها بالقدرة. انظر مثلا إلى المرحلة المحددة للدورة الاقتصادية باعتبارها أحد الظروف الأولية. وللوهلة الأولى قد يبدو هذا غير مرتبط بقدرة أي وافد جديد إلى سوق العمل. ولكن شخصا يتمتع بقدرات عالية قد يؤجل دخوله لسوق العمل أثناء إحدى فترات الركود بمتابعة الدراسة. وعلى النقيض من ذلك فإننا لم نسمع عن أحد لاعبي اختبارات الكريكيت قد رفض فرصة اللعب ضمن فريق وطني لأن المباراة في الخارج. فالأماكن المتوافرة في الفرق الوطنية جدُّ قليلة، والتنافس على الأماكن المتاحة جدّ محتدم، والفرق في التعويضات بين مباريات الكريكيت المحلية وبين مباريات الاختبار في الكريكيت صارخ إلى درجة تجعل هذا السلوك غير مستساغ. ومن ثم، فإن موقع الانطلاقة الأولى لا يرجح أن يرتبط بالقدرة. وحيث إن ظروف الانطلاقة الأولى تعتبر من العوامل الخارجية – أي أنها نادرة في أسواق العمل الأخرى – فإن مباريات الاختبار في الكريكيت تعتبر وسيلة جذابة لدراسة أثر الحظ في تحقيق النتائج خلال المسيرة المهنية.

لماذا يدوم الحظ

لماذا يدوم الحظ؟ تطرح الدراسات السابقة تفسيرين محتملين على الأقل، لكليهما أوجه تشابه دقيقة مع العينة التي نقدمها. أولا، أن أصحاب الأداء الجيد في سلسلة مباريات الانطلاقة– وهو ما يناظر التعيين لأول مرة في وظيفة جيدة – قد تتراكم لديهم مهارات معينة نتيجة لذلك، وقد تثمر هذه المهارات فيما بقي من حياتهم المهنية. فعلى سبيل المثال، قد يكتسب ضاربو الكرة ثقة أكبر وأسلوبا أفضل كلما زاد ما يقضونه من وقت في بدايتهم وهم يواجهون رماة كرة دوليين على مستوى رفيع دون أن يخرجوا من المباراة. وستظل هذه السمات تفيدهم في المسابقات مستقبلا. ونسمي هذا فرضية *رأس المال البشري*. ثانيا، قد يفشل المسؤولون عن اختيار الفريق الوطني في مراعاة الفروق في موقع مباريات الانطلاقة عندما يقررون من يحتفظون به ومن يسقطونه من فريق الاختبارات، وهم بذلك يعاقبون من بدأوا في الخارج. ونسمي هذا تحيز *الإشارة*. ويلاحظ أن فرضية رأس المال البشري وتحيز الإشارة يمكن أن يتواجدا في نفس الوقت.

وقد استخدمنا بيانات عن أي اللاعبين تم الاستغناء عنه وأيهم تم الاحتفاظ به لبناء نموذج بسيط لقرارات الاختيار حسب سلسلة بداية اللاعب. وقد توصلنا إلى أدلة على فرضية رأس المال البشري لكل من ضاربي الكرة ورماة الكرة: إن الأداء الجيد عند الانطلاقة يبني مهارات مفيدة. وبالمثل، توصلنا إلى أن من يقومون بالاختيار يميلون لتحيز الإشارة بالنسبة لكل من ضاربي الكرة ورماة الكرة. لكن تحيز الإشارة أقوى بالنسبة لرماة الكرة عنه بالنسبة لضاربي الكرة. وتعاقب لجان الاختيار كلا من ضاربي الكرة ورماة الكرة على البدء في الخارج. لكنها تعاقب رماة الكرة بشكل غير متناسب، ربما لأن الأداء الضعيف في رمي الكرة، مقارنة بالأداء الضعيف في صدها، من المرجح بدرجة أكبر أن يسبب خسارة الفريق، ولذلك يجري عقابه بقسوة أشد.

فضل الانطلاقة الموفقة

قد يكون من الخطأ أن نعمم ما توصلت إليه هذه الدراسة على كل أسواق العمل الأخرى، لكن يبدو أن الحظ يلعب دورا كبيرا في الأداء الاستهلالي الناجح، حتى على الرغم من أن القدرة والعمل الجاد قد يزيدان الحظ الطيب عند الانطلاقة. ولذلك فإن ما توصلنا إليه من نتائج قد يخيب أمل المثاليين من كلا المعسكرين – أي من يعتبرون النجاح دالة للحظ أو للقدرة فحسب. ولكن ينبغي أن نضيف أن سوق لاعبي مباريات الاختبارات في الكريكيت تختلف عن أسواق العمل الأخرى بطرق لا بد وأن تقلل دور الحظ، لا أن تزيده. فلنأخذ ذلك في الاعتبار بالنسبة لمن يختارون اللاعبين في فرق اختبارات الكريكيت، حيث يسهل قياس أداء اللاعب، وتكون الفروق في الظروف في مختلف البلدان معروفة جيدا. وإضافة لذلك، فإن الجهد المطلوب من أجل الفرز الدقيق للاعبين يفترض أن يكون أقل كثيرا بالمقارنة بأهمية اتخاذ القرار الصحيح. ومع ذلك، يبدو أن لجان الاختيار تعاقب بصورة منهجية كلا من رماة الكرة وضاربي الكرة على سوء الحظ المتمثل في بداية اللعب في الخارج – وتعاقب بصورة منهجية رماة الكرة أكثر من ضاربي الكرة. ولذلك يبدو من المرجح انتشار تحيزات مماثلة بين أرباب العمل بكل أنواعهم، والذين تكون مقاييس الأداء لديهم أكثر غموضا، ويكون الحكم على ظروف الانطلاقة أشد صعوبة، ولا يرجح أن يرد القرار نفسه على بال ملايين المشجعين المتعصبين لآرائهم في شتى أنحاء العالم. ■

شيخار آيار اقتصادي أول في إدارة آسيا والمحيط الهادئ في صندوق النقد الدولي، ورودني رامتشاران اقتصادي أول في الإدارة الإفريقية بالصندوق.

النجم اللامع المبتدئ

إن الزيادة بنسبة ٣٣٪ في متوسط ضرب الكرة والانخفاض بنسبة ١٨٪ في متوسط رمي الكرة التي تتحقق للاعب المبتدئ من لعبه على أرضه منذ انطلاقته، مماثلة تقريبا للفرق في الأداء بين النجم اللامع واللاعب المتمرس.

فعلى سبيل المثال، حقق اللاعب الهندي العظيم صاحب الضربة الأولى «سونيل غافاسكار» متوسط صدات يزيد بنحو الثلث على متوسط صدات معاصريه الأكفاء مثل «كيث فليتشر» أو «لاري غومز». وحقق رامي الكرة الأسترالي الأسطوري «دينيس ليلي» متوسطا أقل بنحو ١٥٪ عن رامي الكرة المساعد «ماكس ووكر».

يستند هذا المقال إلى ورقة عمل تصدر قريبا عن صندوق النقد الدولي، بعنوان «ماذا يمكن أن يعلمه لنا الكريكيت الدولي عن دور الحظ في سوق العمل»؟